المؤشر الاول هو ان التاريخ لا يتكرر ، فالماضي الذي يعود ليبرز على السطح في كل حرب اهلية في لبنان هو « المسالة الشرقية » .

اما اشكالية الحرب ، ومسارها ونتائجها فهي تفضح لتطور الواقع العام . وهي في الوقت نفسه احدى الدلالات الممكنة لتطور وتغير هذا الوضع .

المؤشر الثاني هو ان الحرب الاهلية لا يمكن ان تفهم فقط من خلال مسارها العام . فهذا المسار العام هو محصلة مجموعة من التصرفات والتحركات الاجتماعية العنيفة التي تعكس بستوى تطور المسار العام وفي الوقت نفسه تحكمه . اي ان الجدليين المسالتين في لحظات الانفجار يصبح فعلا يوميا .

تقودنا هذه المقدمة الى محاولة تسجيل مجموعة من الملاحظات التي قد تبدو ناقصة وهي ناقصة بالفعل ، نحاول الان ان نستكشف اشكالية التعبير ومداخله المختلفة . والتعبير هنا ، هو الواقع وحركته . اي اننا نحاول ان ننطلق من لحظة رفع الغطاء عن احشاء العلاقات الاجتماعية الذي تقدمه الحرب ، لندرس الواقع في حركته ، والعلاقات الاجتماعية في لحظات توترها . لذلك فلن نناقش التعبير بمعناه المتعارف عليه . لن نتوقف عند التعبير الثقافي المحترف ، الذي هو تحديدا جزء من الايديولوجية العامة التي ينتجها مثقفون . فهذا التعبير اثبت خلال الحرب عن عدم فعاليته . المسالة ليست في السؤال البديهي اين كانت الثقافة خلال الحرب ، بل ما هي علاقة الثقافة بالحرب . والمسافة شاسعة بين السؤالين . يفترض اولهما ان للثقافة دورا ويناقش مدى تاديتها له . ويحاكم الثاني الثقافة بذاتها ليحاول فهم علاقتها غير المباشرة بالحرب . لقد اثبتت الثقافة « السائدة » ، ان لا علاقة لها بما جرى ويجري ، انها مجرد اداة حجب ثانوية ، تحاول ان تغطي التجارة بالقيم التحديثية . وعند سقوط القيم التحديثية والليبرالية امام الواقع سقطت كاي شيء يسقط . لذلك لا نتعجب ونحن نرى السريالي يتحول الى فاشي او شبه فاشي ، والتجريبي المجدد يتحول الى منظر انعزالي والمسرحي الطليعي يتحول الى مذيع يصرخ في ممثيت . فالقشور ليست في النهاية سوى قشور . هذه الصورة العامة يجب ان لا تحجب اصواتا ارتفعت من مجموعة الصحفيين الشباب الى بعض الاصوات الشعرية ، وبعض الكتابات التي حاولت ان تكون جزءا من الحركة الشعبية .

لن نناقش اذن التعبير « الثقافي » المحترف . سوف نحاول ان نسجل مجموعة من الملاحظات الاولية عن الحركة العامة للحرب . فالحرب هي تعبير .